مقبرة كوم الشقافة

توجد معظم مقابر العصر الروماني في الإسكندرية في الجبانه الغربية وذلك فيما عدا مقبره " شارع تيجران باشا " والتي عثر عليها في شرق المدينة ومقبره (كوم الشقافه) تقع جنوب (حي مينا البصل) وتعتبر من أهم مقابر مدينة الإسكندريه وتسميه المنطقة بـــ (كوم الشقافه) بسبب كثره البقايا الفخاريه والكسرات التي كانت تتراكم في هذا المكان؛ فكوم الشقافة هو الاسم العربى للمنطقة التى اطلق عليها اليونانيون اسم "مونوس سيراميكوس" اى " تل (كسرات) الفخار". أول من قام بإكتشاف هذه الجبانة هو عالم الآثار الشهير "بريتشيا" اول مدير تولى شئون آثار الاسكندرية وتولى ادارة المتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية١٨٩٢م .وكان اكتشاف هذه المقبرة مصادفة في ٢٨ سبتمبر ١٩٠٠ ميلادية، في أثناء سير عربة كارو يجرها حمار سقطت في حفرة، وقد كانت هذه الحادثة وراء اكتشاف مقبرة بل جبانة تعد واحدة من أهم المواقع الآثرية في مدينة الإسكندرية، فعند انتشال العربة اكتشف أجزاء من هذه الجبانة فريدة الطراز ذات الأدوار السفلية المؤرخة بنهاية القرن الأول الميلادي والتي استمرت تستخدم كجبانة عامة ضخمة حتي النصف الأول من القرن الرابع الميلادي.والتى تعتبر اول نموذج للكاتاكومب Catacomb (مقبرة منحوته فى الصخر حول بئر) خارج ايطاليا بل يعدها البعض اول نموذج للكاتاكومب على مستوى العالم. ثم استكملت باقي الاكتشافات في المنطقة حتى آخر مدير أجنبي للمتحف اليوناني الروماني بالإسكندرية آلان رو Alan Rew عام ١٩٤١م.

الموقع الأثرى بمنطقة كوم الشقافة ويشير السهم للمقبرة

وتتكون المقبرة من ثلاثة طوابق اسفل سطح الأرض وعناصرها كالتالى :

١ – مدخل.

٢ – سلم حلزوني كبير مكون من "٩١" درج يدور حول بئر به فتحات للإضائة.

٣ – الطابق الأول تحت الأرض ويشمل ممر صغير Vestibule علي جانبيه فجوتين بزخرفة الصدفة، يؤدي إلي صالة مستديرة Rotunda تدور حول بئر.

٤ – حجرة مربعة الشكل تقريباً بها ثلاث من الأرائك تسمي صالة المآدب Triclinum.

٥ – سلم يؤدي إلي الطابق السفلي في نهايتة منصة.

٦ – ردهتان تتقدمان حجرة الدفن التى بها ثلاث توابيت وتعد لب البناء ككل وقلب المجموعة الجنائزية.

٧ – الطابق الثالث وقد استخدم علي ما يبدو في فترة لاحقة لبناء المقبرة لدفن الموتي إذ وجد وقت إكتشاف المقبرة مجموعة من الجثث فيه.

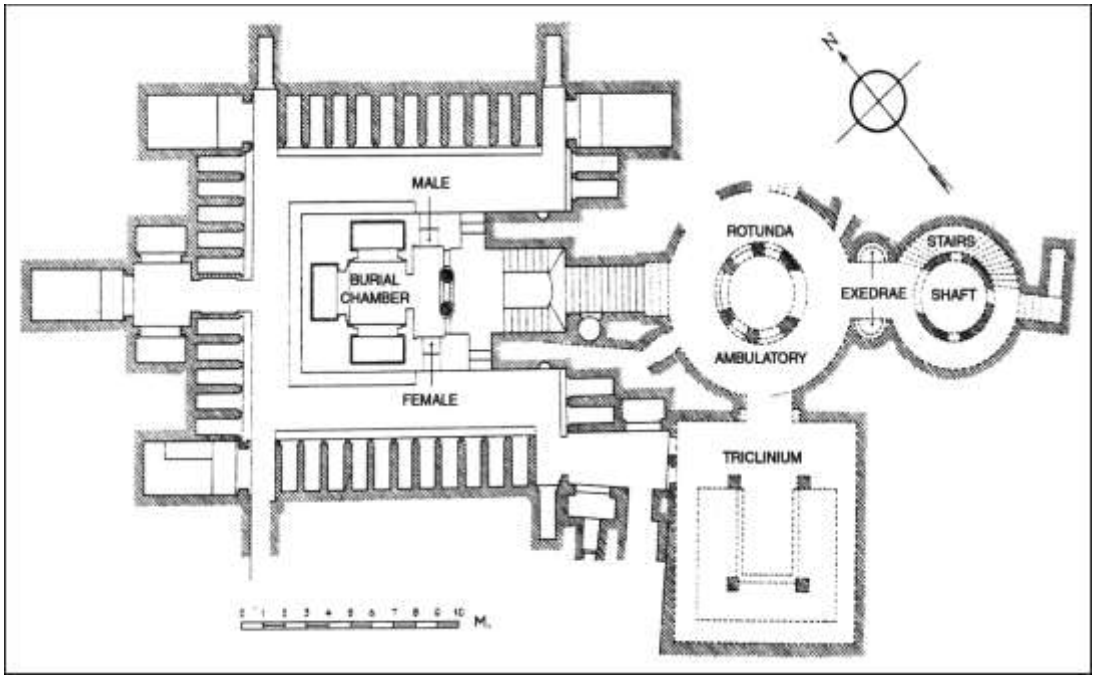

تخطيط المقبرة الرئيسية بمنطقة كوم الشقافة

أولاً: المدخل:

ربما كان هذا المدخل جزء من مبني أو طابق كان قد شيد فوق سطح الأرض وقت نحت المقبرة ولكن لم يعد له آثر في الوقت الحالي لسبب أو لآخر بدليل اكتشاف بقايا أرضية من الفيسيفاء.

ثانياً: السلم الحلزوني:

يدور هذا السلم حول بئر للإضائة بعمق عشرة أمتار وقطر ستة أمتار، له سقف مقبي ويتخلل جدرانة فتحات استخدمت لاغراض ثلاثة اولها الإضائة من خلال نوافذ ذات نهايات علوية مقببة، ثانيها استخدم البئر (وهو أحد التأثيرات المصرية القديمة) لتوصيل جثث الموتي إلي حجرة الدفن حيث مثواها الأخير وكذلك استخدم في تسهيل عملية عبور الكتل الحجرية إلي المناطق الداخلية للمقبرة.

حوائط البئر بنيت بكتل حجرية مربعة الشكل يتراوح سمكها بين ٣٠، ٣٥ سم ويتخللها أنابيب فخارية لتوصيل المياه. أما السلم الحلزوني الذي يدور حول هذا البئر فقد صمم علي الطراز الروماني إذ نجد نهاية السلم هي أكثر درجاته سمكاً ثم تأخذ في النقصان كلما اتجهنا إلي أعلي و ذلك لتخفيف

مشقة صعود السلم علي زوار المقبرة. أما عرض الدرجة فحوالي ١,٢٠ م. وفي الجدار المنحوت في الصخر توجد فتحات صممت خصيصاً لوضع المسارج التي لا زال السناج المختلف عن إضائتها موجود حتي الآن.

الدرج حول البئر

وحوالي ثلاثة أرباع المسافة أسفل السلالم يوجد الجدار الخارجي فتحة مربعة صغيرة من الطوب اللبن يتجمع فيها مياه الأمطار وتنقل عن طريق مواسير فخارية إلي صهاريج ربما لإستخدامها في الطقوس المتصلة بالمراسم الجنائزية للمتوفى . ويبدو أن هذه المنطقة قد أستخدمت أيضاً للدفن بعد تحويل المقبرة إلي جبانة عامة.

البئر

الطابق السفلى الأول:

يبدأ هذا الطابق بممر صغير Vestibule يبدأ بنهاية السلم الحلزوني وينتهي ببداية الصالة المستديرة Rotunda وأرضية هذا الممر لا زال يري بها بعض آثار مرمر وهي مادة لم تستخدم إلا في المباني الملكية عند المصريين القدماء مما يوحى بأن هذه المقبرة ليست مقبرة لشخص عادى.

علي جانبي الممر نحتت فجوتين صغيرتين نصف دائرتين niches لكل منها سقف مقبي تحليه زخرفة علي شكل الصدفة المعروفة بالزخرفة الأنطونينية والتي شاع استخدامها منذ عهد الإمبراطور تراجان حتى نهاية

عهد الإمبراطور أنطونينوس بيوس(اى من ٩٨م حتى ١٦١م) ولذلك امكن تأريخ المقبرة من نهاية القرن الأول حتى منتصف القرن الثانى الميلادى .

وأسفل الفجوتين يوجد مصطبتان صممتا بالشكل النصف دائري أيضاً والهدف من وجودهما هو أن يكونا بمثابة مقعدان يستطيع زوار المقبرة الاستراحة بالجلوس عليها بعد هبوط السلم.

الممر المؤدى للطابق الاول

الصالة المستديرة Rotunda

بنهاية الممر توجد صالة كبيرة مستديرة Rotunda في وسطها بئر ثانٍ محاط بستة من الأعمدة تصل في ما بينها حوائط ستائر (التى ظهرت

كعنصرمعمارى فى الحضارة المصرية منذ عهد زوسر ثم اشتهرت بها واجهات صالات الاعمدة الاولى بالمعابد البطلمية و الرومانية فى صعيد مصر) تصل إلي منتصف العمود تقريباً وتظهر المسافة الواقعة أمام الممر و قد تركت دون حائط كما يلاحظ أن مساحتها هى الاكبر بين باقي المساحات الآخري المحيطة بالبئر. هذا البئر اذى تميز بسقف مقبي متسند علي الأعمدة الستسالفة الذكر. اما عن وظيفة هذا البئرفربما إلي جانب استخدامه لعبور الجثة إلي حجرة الدفن من خلال فتحة أرضية تصل بالبئر الأول ثم بالمنطقة المقابلة لحجرة الدفن، كان يستخدم أيضاً لتوصيل الإضائة إلي الطابق الثالث. ولا زالت تحتفظ جدران البئر من الداخل- رغم كل عوامل الزمن- على بعض آثار للون الأحمر شكلت به زخارف هندسية.

اكتشفت البعثة الألمانية عام ١٩٠٠م في قاع البئر على خمسة رؤوس لتماثيل نحتت من مادة الرخام الأبيض محفوظة الان بالمتحف اليوناني الروماني بالإسكندرية. اولها لرجل يعتقد أنه كبير كهنة المعبود سيرابيس، والثانية لامرأة من خلال أسلوب معالجة الشعر والذي أنتشر في العصر الفلافي Flavian ٦٩م - ٩٦م اعتقد البعض أنها الاميرة جوليا Julia زوجة الإمبراطور دوميتان Domitian. ولكن لماذا وضعت رأس هذه الاميرة في قاع هذ البئر. حتي الآن لا يوجد إجابة مقنعة؛ لذلك ربما كانت هذه الرأس لشخصية أخرى غيرالإمبراطورة جوليا خاصة وأن تسريحة شعر الأمبراطورة وحليها وثيابها كانت بمثابة صيحة و موضة ذلك العصر

الصالة المستديرة

احدى الرؤوس المكتشفة داخل بئر الروتندا لسيدة بتسريحة الشعر الفلافى

حجرة المآدب

ومن الصالة المستديرة وعلي الجانب الأيسر توجد حجرة المآدب Triclinium و هى مربعة الشكل تقريباً مساحتها ٨,٥ x ٩ م يشغل الجزء الأوسط منها ثلاث من الأرائك (مصاطب) اثنتان منهما متعامدتان علي الثالثة، ويحيط بهم أربع دعامات لها تيجان دورية الطراز ويستد عليها سقف الجزء الأوسط الذي يرتفع عن باقي سقف الحجرة وكلها نحتت في الصخر. وفي منتصف الدعامتين الأماميتين تقريباً توجد فتحة يعلوها آثار لسناج وهذا يدل علي أنها كانت موضع لمشعل لإضائة المكان. ولما كانت هذه الحجرة قد خصصت للطعام حيث كان أقارب أو زوار المتوفي يجلسون مضطجعين علي المصاطب علي الطرية الرومانية، فلا بد أنه كان هناك مائدة لوضع الطعام عليها. وقد كان أقارب المتوفي يجلسون حول المائدة في ثلاث مجاميع علي المصاطب الثلاث كل مجموعة تتكون من ثلاثة أفراد ليصبح عددهم تسعة أشخاص وهو عدد أرباب الفنون والعلوم عند اليونان. وكانوا يتجمعون في مناسبات عدة منها الأربعين وعيد ميلاد.

حجرة المآدب

وعند النهاية الغربية للصالة المستديرة نجد سلم ضخم يتكون من خمسة عشر درجة الأربعة الأولي منها يبلغ عرضها ٢,٢٠ م ثم يتفرع السلم إلي فرعين قرب نهايته.

وللسلم سقف مقبي تحلية زخرفة الصدفة وينتهي بما يشبة منصة الملقي علي المسرح Prompter Box. وهي مواجهة لحجرة الدفن وتؤدي إلي الطابق الثالث عن طريق ست درجات من السلالم. ومن خلال هذه المنصة كانت تجذب الجثة لتحمل إلي حجرة الدفن حيث كان الدور الثالث ينفذ من خلال فتحات علي البئر الثاني والأول. وواجهة هذه المنصة صممت علي شكل واجهة معبد مصري.

السلم المؤدى لحجرة الدفن الرئيسية(اتجاه حجرة الدفن)

السلم المؤدى لحجرة الدفن الرئيسية(اتجاه الصالة المستديرة)

وتظهر المنصة نهاية السلم حين ينقسم الى فرعين

الطابق الثاني:

بعد المنصة تجد نفسك أمام ردهتين متتاليتين يفصل بينهما عمودين قاعدتيهما مثمنة الأضلاع أما بدن العمود مستدير زخرف من أسفل بزخارف نخيلية وتاج العمود من طراز المركب عبارة عن وحدات نباتية وزهرية تجمع بين العناصر الزخرفية المصرية واليونانية. وفوق التاج يوجد عتب قسم إلي ثلاثة أقسام؛ القسم الأول(من اسفل لأعلى) ترك بلا زخرفة فيما عدا شريط مستدير بارز، أما الثاني فيتوسطة قرص الشمس المجنح علي جانبيه حورس علي هيئة صقر أما القسم الثالث فهو عبارة عن إفريز من زخرفة المسننات ويتخذ الجزء العلوي شكل جمالونى يتوسطة قرص الشمس.

واجهة المقبرة الرئيسية

أما الردهة الثانية فيؤدي إليها ثلاث درجات وقد نحتت علي أرضية مرتفعة Podium وهي أقل حجماً من الردهة الأولي، وعلي جانبيها يوجد تجويفين يوجد باحدهما تمثال لرجل وبداخل الآخر تمثال لمرأه. وربما يكون هذان التمثالان لصاحب المقبرة وزوجته او ربما هما من ضمن إضافات لاحقة للمقبرة إذ أن الناظر خلف التمثال يتبين له للوهلة الأولي أنها كانت مخارج ثم سدت بعد ذلك ليوضع التمثال فيها.

تمثالا الرجل والمرأ ة يمين ويسار الردهة الثانية

يرتدي تمثالا الرجل والمرأه الملابس المصرية ويقفا الوقفة المصرية المألوفة والمميزة للتماثيل المصرية القديمة حيث تتقدم الرجل اليسري والزراعان ملتصقان إلي الجانبين وكذا يستند التمثال علي ما يشبة مسند الظهر. أما ملامح الوجه وتصفيف الشعر فتتبع الطرز الفنية الرومانية خاصة المؤلوفة نهاية القرن الأول الميلادي في الفترة ما بين حكم الإمبراطور دوميتان وهادريان ٨١ – ١٣٨ م.

واجهة حجرة الدفن

الواجهة الخارجية لحجرة الدفن نفذت بأسلوب مصري إلي حد كبير فهي تتكون من مدخل يعلوه عتب يستند علي دعامتين إحداهما في الركن الأيمن والآخري في الركن الأيسر لواجهة حجرة الدفن. زخرفت قاعدتيهما بأوراق البردي متعانقة باللوتس أما التيجان فزخرفتها خليط من البردي والأكانثوس.

قسم العتب إلي ثلاثة أقسام؛ القسم الأول زخرف في المنتصف بقرص الشمس يليه إفريز من زخرفة البيضة والسهم أسفلة أما القسم الثالث فنجد في منتصفة قرص الشمس المجنح وعلي يمينه و يساره شكل حورس علي بهيئة الصقر. أما مدخل حجرة الدفن فيعلوها عتب أيضاً يتوسطة قرص الشمس المجنح اعلاه إفريز من حيات الكوبرا.

زخارف ونقوش واجهة حجرة الدفن

وعلي يمين وعلي يسار المدخل نجد نحتاً بارزاً يتخذ قاعدة تتخذ شكل واجهة المعبد المصري عليها يقبع ثعبان القوي الخيرة الأجاثودايمون. (*وثعبان الأجاثودايمون كان يعبد في قرية راقودة قبل مجئ الإسكندر الأكبر، كما يحدثنا بذلك كاليستنيس Callisthenes، حيث يذكر انه كان يوجد معبداً براقودة يخرج منه الثعابين منتشرة في المنازل المحيطة حيث يقوم الأفراد بعبادتها تحت لقب القوي الخيرة وهو نفس اللقب الذي أطلق علي الكثير من الحكام في العصرين اليوناني والروماني في مصر فالإسكندر الأكبر عبد علي أنه القوي الخيرة Agatho Daimon*) يرتدي ثعبان القوي الخيرة فوق رأسة التاج المزدوج الخاص بمصر العليا ومصر السفلي ويحمل الثعبان بين طياتة

الكماشة Caducens رمز المعبود هرميس رسول الآلهه في الميثولوجيا اليونانية Hermes Psychopompus الذي يقود روح المتوفي إلي الآخرة، كما يحمل أيضاً صولجان Thyrsus رمز المعبود ديونيسوس Dionysus الذي ارتبط أيضاً بالحياة بعد اللموت.

وفوق رأس الثعبان درع مستدير من طراز بارما Parma وهو أحد طرز الدروع المستديرة التي ظهرت في العصرين اليوناني والروماني وبداخل الدرع المستدير رأس الميدوزا Medusa "الجوجون" Gorgon وهي شكل أسطوري طبقاً للميثولوجيا اليونانية القديمة فإن الناظر إلي عينيها يتحول إلي حجر، وكان الهدف من ذلك هو إرهاب اللصوص حتي لا يسرقوا المقبرة. وكان رأس الجورجون أيضاً شعار درع المعبودة أثينا. وكانت الجورجون أيضاً طبقاً للميثولوجيا القديمة تعيش بالقرب من مملكة الأموات. وقد أتخذها الأباطرة الرومان رمزاً لهم.

ونستكمل فى المحاضرة القادمة ان شاء الله وصف حجرة الدفن الرئيسية ونقوشها